دولة الإمارات العربية المتحدة
كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

مجلة علمية محكمة

العدد التاسع والأربعون

البريد الإلكتروني iascm@emirates.net.ae

الموقع الإلكتروني www.islamic-college.ae

49

1436هـ /2015 م

اقرأ في هذا العدد

كلمة المشرف العام: البحث العلمي في خدمة المجتمع

منهج الإمام الآلوسي في تفسير روح المعاني في توجيه الآيات المتشابهة

جهود الإمام الشافعي في جرح الرواة وتعديلهم

استثمار نتائج الامتحان في تنمية قدرات المتعلم وتوجيهها
– تراكم نتائج امتحانات الجامعة أنموذجا –

عمـوم المقتضى عند الأصوليين وأثره في اختلاف الفقهاء

حكم الكفارة في القتل العمد (دراسة فقهية مقارنة)

صيغ «استثمار الوقف النقدي» في ميزان «المعايير المالية للاستثمار الوقفي»

الخطاب الحسي في شعر الأطفال – الشاعر أحمد سويلم (أنموذجا)

قصيدة (يا جارة الدم والدمار) لحميد سعيد – دراسة موسيقية

التورق المصرفي – دراسة نقدية مقاصدية

نقل الحركة في بنية الكلمة العربية – دراسة صوتية صرفية

دور المرابطين في ترسيخ المذهب المالكي بالمغرب والأندلس

السياسة التجارية الأمريكية بين النظري والتطبيقي "الدعم الحكومي الأمريكي وأزمة القطن في دول غرب أفريقيا بين عام (٢٠٠١-٢٠٠٤)"

مَجَلَّـــة
كُلِّيَّةِ الدِّراساتِ الإسلاميَّةِ والعربيَّةِ

مجلة علمية محكَّمة

نصف سنويَّة

تأسست سنة ١٩٩٠ م

العدد التاسع والأربعـــــون

رمضان ١٤٣٦ هـ - يونيو ٢٠١٥ م

المشرف العام

د. محمـد أحمد عبدالرحمن

مدير الكلية

رئيس التَّحرير

أ. د. أحمد عثمان رحماني

سكرتير التَّحرير

د. محمد أحمد الخولي

هيئة التَّحرير

أ. د. عبـدالله محمـد الجبوري — أ. د. عبـد الرحمـن بنـاني

د. غازي يوسف اليوسف — د. مجـاهـد منصـور

د. مازن حسين حريري

ردمد : ١٦٠٧-٢٠٩X

تفهرس المجلة في دليل أولريخ الدولي للدوريات تحت رقم ١٥٧٠١٦

المحتويـــــــــات

- **الافتتاحية**

رئيس التحرير..... ١٥-١٦

- **(كلمة المشرف العام: البحث العلمي في خدمة المجتمع)**

د. محمد أحمد عبد الرحمن..... ١٧-١٩

- **منهج الإمام الألوسي في تفسير روح المعاني في توجيه الآيات المتشابهة**

د. صالح بن عبد الله الشثري..... ٢٣-٦٨

- **جهود الإمام الشّافعي في جرح الرّواة وتعديلهم**

د. محمد عودة أحمد الحوري..... ٦٩-١٢٦

- **استثمار نتائج الامتحان في تنمية قدرات المتعلم وتوجيهها**

- تراكم نتائج امتحانات الجامعة أنموذجاً -

د. محمد أحمد عبد الرحمن..... ١٢٧-١٧٢

- **عموم المقتضى عند الأصوليين وأثره في اختلاف الفقهاء**

د. عبدالرحمن بن غازي طه خصيفان..... ١٧٣-٢٣٠

- **حكم الكفارة في القتل العمد (دراسة فقهية مقارنة)**

د. جمال شاكر عبد الله..... ٢٣١-٢٦٠

- **صيغ «استثمار الوقف النقدي» في ميزان «المعايير المالية للاستثمار الوقفي»**

د. حسن محمد الرفاعي..... ٢٦١-٣٠٦

- **الخطاب الحسي في شعر الأطفال - الشاعر أحمد سويلم (أنموذجاً)**

د. مي محسن الحلفي..... ٣٠٧-٣٥٠

- **قصيدة (يا جارة الدم والدمار) لحميد سعيد - دراسة موسيقية**

د. فتحي أبو مراد..... ٣٥١-٤١٦

- **التورق المصرفي - دراسة نقدية مقاصدية**

د. ماهر حسين حصوة..... ٤١٧-٤٦٨

- **نقل الحركة في بنية الكلمة العربية - دراسة صوتية صرفية**

أ. م. د. محمد خالد رحال العبيدي..... ٤٦٩-٥٣٠

- **دور المرابطين في ترسيخ المذهب المالكي بالمغرب والأندلس**

د. محمد المختار ولد السعد..... ٥٣١-٥٧٠

- **U. S. Trade Policy between Theory and Practice - The Case of U. S. Subsidies and the West African Cotton Crisis (2001-2004)**

Dr. Hachemi Aboubou - Mrs. Dziri Hassina..... 5 - 47

منهج الإمام الألوسي في تفسير روح المعاني في توجيه الآيات المتشابهة

د. صالح بن عبد الله الشثري
أستاذ مشارك – رئيس قسم العلوم الإنسانية
كلية الملك خالد العسكرية

ملخص البحث

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد

نال علم المتشابه اللفظي عناية بعض العلماء المتقدمين، منذ القرن الخامس الهجري، إلا أن الجهد في هذا الباب متواضع، فكان بعض العلماء يعتمد على ما ألف قبله، ولعل ذلك يرجع لوعورة مسلكه، فهو باب دقيق، ولج فيه علماؤه مضايق تضيق عنها الإبر، مما يستدعي الفهم الدقيق، والعلم الجم بعلوم اللغة، فهذا العلم لم ينل نصيبه من البحث والدراسة التي تتناسب مع أهميته، كما نال غيره من علوم القرآن الكريم كعلم التفسير مثلاً.

وإذا تأملنا التراث الإسلامي في هذا الموضوع وجدنا أن عدداً من العلماء منذ القرن الخامس الهجري اعتنوا بهذا الباب المهم في فهم كتاب الله تعالى وتدبره، ومن أبرز أولئك: علماء المتشابه اللفظي الذين ألفوا كتباً ومصنفات خاصة بهذا العلم، وقد كان لهم مناهج متنوعة في توجيه الآيات المتشابهة. كما أن لعلماء التفسير جهوداً تذكر فتشكر، فهم أصل هذا العلم، وتفاسيرهم الكثيرة المتنوعة تزخر بالتأملات والوقفات الفريدة في توجيه تلك الآيات المتشابهة.

وسوف يكون مدار حديثنا في هذا البحث الموجز عن علم من أعلام التفسير، وهو الإمام الألوسي صاحب كتاب «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني»، وسنقف وقفات مع منهجه في توجيه الآيات المتشابهات في كتاب الله تعالى، وهي جزء من منهجه في تفسير كتاب الله تعالى.

أما ورقات هذا البحث فتتمثل بعد هذا المدخل في المباحث التالية:

- المبحث الأول: تعريفات
- المبحث الثاني: مناهج العلماء الذين اعتنوا بالمتشابه اللفظي
- المبحث الثالث: منهج الإمام الألوسي في توجيه الآيات المتشابهة

منهج الإمام الألوسي في تفسير روح المعاني في توجيه الآيات المتشابهة

مدخل:

يعد توجيه الآيات المتشابه في ألفاظها في القرآن الكريم أحد مفاتيح الفهم والتدبر لكتاب الله تعالى، فقد جاءت النصوص بالدعوة إلى ذلك، فتنوع الخطاب الداعي لذلك، فتارة بالنظر، وتارة بالتفكر، كقوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ ص: ٢٩، وقوله: ﴿ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ﴾ ق: ٦، وقوله: ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ آل عمران: ١٩٠، ١٩١.

وهذا العلم نال عناية بعض العلماء المتقدمين، منذ القرن الخامس الهجري، إلا أن الجهد في هذا الباب متواضع ، فكان بعض العلماء يعتمد على ما ألف قبله، ولعل ذلك يرجع لوعورة مسلكه، فهو باب دقيق، ولج فيه علماؤه مضايق تضيق عنها الإبر، مما يستدعي الفهم الدقيق، والعلم الجم بعلوم اللغة، فهذا العلم لم ينل نصيبه من البحث والدراسة التي تتناسب مع أهميته، كما نال غيره من علوم

القرآن الكريم كعلم التفسير مثلاً.

وإذا تأملنا التراث الإسلامي في هذا الموضوع وجدنا أن عدداً من العلماء منذ القرن الخامس الهجري اعتنوا بهذا الباب المهم في فهم وتدبر كتاب الله تعالى، ومن أبرز أولئك: علماء المتشابه اللفظي الذين ألفوا كتباً ومصنفات خاصة بهذا العلم، وقد كان لهم مناهج متنوعة في توجيه الآيات المتشابهة.

كما أن لعلماء التفسير جهوداً تذكر فتشكر، فهم أصل هذا العلم، وتفاسيرهم الكثيرة المتنوعة تزخر بالتأملات والوقفات الفريدة في توجيه تلك الآيات المتشابهة.

وسوف يكون مدار حديثنا في هذا البحث الموجز عن علم من أعلام التفسير، وسنقف وقفات مع منهجه في توجيه الآيات المتشابهات في كتاب الله تعالى، وهي جزء من منهجه في تفسير كتاب الله تعالى.

أما ورقات هذا البحث فتتمثل بعد هذا المدخل في المباحث التالية:

- المبحث الأول: تعريفات
- المبحث الثاني: مناهج العلماء الذين اعتنوا بالمتشابه اللفظي
- المبحث الثالث: منهج الإمام الألوسي في توجيه الآيات المتشابهة

المبحث الأول: تعريفات

- **المراد بالمتشابه اللفظي**

ذكر علماء اللغة أن المتشابه يطلق في اللغة على ما تماثل من الأشياء، وأشبه بعضها بعضاً، وعلى ما يلتبس من الأمور[1]، يقول المناوي(ت١٠٣١): (المتشابه:

١- انظر: لسان العرب: ١٣ / ٥٠٣.

المشكل الذي يحتاج فيه إلى فكر وتأمل)[٢]. أما متشابه القرآن حين يطلق فإنه يطلق على نوعين، الأول: المتشابه المعنوي، وهو يقابل المحكم، وقد دار حول هذا النوع جدل كبير بين العلماء لتحديد المراد منه في القرآن الكريم، وهو ليس مجال بحثي في هذا الكتاب، وخلاصة ذلك أن المراد به الغامض المشكل مما استأثر الله سبحانه بعلمه كعلم المغيبات، وعلم الساعة، أو أنه مما التبس فهم المراد منه، من حيث خرج ظاهره عن دلالته على المراد به، لشيء يرجع إلى اللغة، أو العقل أو غير ذلك[٣]، وقد تناوله الزركشي في البرهان، في النوع السادس والثلاثين (معرفة المحكم من المتشابه)، كما بحثه السيوطي في الإتقان، وكذلك في معترك الأقران، وكذلك كتاب التحبير[٤]، وأبرز كتب هذا النوع: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة[٥]، وحقائق التأويل في متشابه التنزيل للشريف الرضي[٦]، ومتشابه القرآن للقاضي عبد الجبار[٧].

أما النوع الثاني فهو المتشابه اللفظي، والمراد به الآيات التي تكررت في القرآن الكريم، في القصة الواحدة من قصص القرآن أو موضوعاته، في ألفاظ متشابهة، وصور متعددة، وفواصل شتى، وأساليب متنوعة، تقديماً وتأخيراً، وذكراً وحذفاً، وتعريفاً وتنكيراً، وإفراداً وجمعاً، وإيجازاً وإطناباً، وإبدال حرف

٢- التوقيف على مهمات التعاريف لمحمد عبد الرؤف المناوي: ٦٣٣.
٣- انظر: متشابه القرآن دراسة موضوعية للدكتور عدنان زرزور: ١٥-٥٣.
٤- انظر: البرهان في علوم القرآن: ١ / ١١٣، الإتقان في علوم القرآن: ٢ / ٢، ومعترك الأقران في إعجاز القرآن: ١ / ١٠٣، والتحبير في علم التفسير: ١٠١.
٥- أبو محمد عبد الله بن عبد المجيد بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢١٣ هـ- ٢٧٦ هـ) أديب فقيه محدث مؤرخ عربي. له العديد من المصنفات أشهرها عيون الأخبار، وأدب الكاتب وغيرها، انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان: ٤ / ٤٢.
٦- هو أبو الحسن محمّد بن الحسين، وهو أخو الشّريف المرتضى، وُلد ببغداد سنة ٣٥٩هـ، وكانت وفاته ببغداد سنة ٤٠٦هـ، كان شاعراً متألّقاً وأديباً فذّاً، انظر: حقائق التأويل، ترجمة المحقق: ١٩.
٧- هو أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني، ولد في مدينة همذان بإقليم خراسان فى أواخر الربع الأول من القرن الرابع، وكانت وفاته ٤١٥ هـ، نشأ في أسرة فقيرة رقيقة الحال، واتصل بالصاحب ابن عباد وولى قضاء الري، كان متمكنا من جميع فروع الثقافة المعروفة في عصره، انظر: مقدمة تحقيق مشابه القرآن لعدنان زرزور:١ / ٧-٢٧.

بحرف آخر، أو كلمة بكلمة أخرى ونحو ذلك، مع اتفاق المعنى العام لغرض بلاغي، أو لمعنى دقيق يراد تقريره، لا يدركه إلا من آتاه الله علماً وفهماً لأسرار كتابه، وهي بحق كنز ثمين من كنوز إعجازه، وسر من أسرار بيانه.

يقول الزركشي: (هو إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة، ويكثر في إيراد القصص والأنباء، وحكمته التصرف في الكلام وإتيانه على ضروب؛ ليعلمهم عجزهم عن جميع طُرق ذلك)[٨]، ومراده بالقصة: الأمر والموضوع مطلقاً، سواء ورد الاختلاف في أثناء القصة القرآنية، أو غيرها، وهذا النوع ألّف فيه العلماء مؤلفات كثيرة[٩]، سوف نشير إلى بعضها إن شاء الله.

- **الإمام الألوسي:**

هو أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، ولد سنة ١٢١٧هـ في الكرخ من بغداد، في بيت علم وأدب، وكان - رحمه الله - عالماً كبيراً، وإمام عصره بين العلماء في العراق، برز في الفقه والعلم والأدب، وفي التفسير والحديث والأصول والفروع، جمع كثيرًا من العلوم.

أخذ العلم عن فحول العلماء، منهم والده، والشيخ خالد النقشبندي، والشيخ علي السويدي، فنشأ في بيت علم. فاشتغل بالتدريس والتأليف وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وتخرج عليه جماعة من العلماء.

تميز بالذكاء والفطنة، وكان ذا حافظة عجيبة، وكثيرًا ما كان يقول: «ما استودعت ذهني شيئًا فخانني، ولا دعوت فكري لمعضلة إلا وأجابني»، وهذه الصفات مكنته من الاطلاع على تراث المتقدمين، فاستوعب آراءهم، ووازن بينها، وكانت لديه شخصية علمية ظاهرة في التعامل مع أقوال العلماء في الأخذ

٨- البرهان في علوم القرآن: ١ / ١١٣.

٩- انظر: كتاب متشابه القرآن دراسة موضوعية، ومقدمة تحقيق كتاب كشف المعاني لابن جماعة: ٥٩-٦٢، ومقدمة تحقيق كتاب درة التنزيل: ٤٩-٥٢.

والرد، والنقاش والترجيح.

وقد تقلد الإفتاء في المذهب الحنفي، وولي الأوقاف بالمدرسة المرجانية، وكانت مشروطة لأعلم أهل البلد، وكان - رحمه الله - عالمًا باختلاف المذاهب مطلعًا على الملل والنحل، سلفيَّ الاعتقاد، فيما يظهر، شافعيَّ المذهب، وكان في كثير من المسائل يقلد الإمام أبا حنيفة - رحمه الله -، وكان في آخر أمره يميل للاجتهاد، توفي في ٢٥ ذي القعدة سنة ١٢٧٠هـ، ودفن بالكرخ، عاش ثلاثاً وخمسين عاماً، وقد خلف مؤلفات نافعة، أبرزها وأهمها «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني»[١٠].

- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني:**

ذكر الإمام الألوسي في مقدمة تفسيره أنه رأى في بعض ليالي الجمعة من شهر رجب سنة ١٢٥٢ هـ رؤيا عجيبة، وأن الله أمره بطي السماء والأرض، رتق فتقهما على الطول والعرض، فرفع يداً إلى السماء وخفض الأخرى إلى مستقر الماء، ثم انتبه من نومه، وهو مستعظم لها، فجعل يفتش لها عن تعبير، فرأى في بعض الكتب أنها إشارة إلى تأليف تفسير، فشرع فيه في شهر شعبان من السنة المذكورة، وكان عمره إذ ذاك أربعاً وثلاثين سنة، وذكر في خاتمته أنه انتهى منه ليلة الثلاثاء لأربع خلون من شهر ربيع الآخر سنة ١٢٦٧ هـ ولما انتهى منه جعل يفكر فى اسمه؟ وبماذا يدعوه؟ فلم يظهر له اسم تهتش له الضمائر، وتبتش من سماعه الخواطر، فعرض الأمر على وزير الوزراء علي رضا باشا. فسمَّاه على الفور: «روح المعانى، في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى»[١١]، فاستحسن ذلك.

١٠- انظر: مقدمة روح المعاني: ٣-٥، والأعلام للزركلي: ٧/ ١٧٢ وما بعدها، والتفسير والمفسرون للذهبي: ٢٥٢-٢٥٤.

١١- انظر: مقدمة روح المعاني: ٥

وذكر أنه كان في نهاره يشتغل بالتدريس والإفتاء، وفي أول ليلة يجتمع بالعلماء ويتناقش معهم في المسائل العلمية، وفي آخر ليلة يكتب في التفسير، ثم بعد ذلك يدفع ما كتبه إلى كتاب استأجرهم لهذه المهمة، فيبيضون ما كتبه في ليلته في عشر ساعات، فهذا يدل على كثرة كتابته وسرعة بديهته.

أما منهجه في التفسير فله معالم وسمات كثيرة، منها:

- أن التفسير يعد جامعاً وشاملاً لكل جوانب التفسير من لغة وبيان ورواية ودراية، وتأميل وتفسير، واستعراض للآراء المختلفة سواء بالموافقة والمخالفة، أو التعقيب والموازنة، أو التأييد والتفنيد، أو الترجيح، وفيه يجد القارئ بغيته في علوم القرآن الكريم كلها.
- يبدأ التفسير بالحديث عن نزول السورة وهل هي مكية أم مدنية، وأسماء السورة وفضائلها، وبعد ذلك بيان مناسبة السورة والآيات، وبيان المقاصد في تلك المناسبات.
- كما يستعرض آيات الأحكام، وأقوال الفقهاء، ويختار منها، وفي الغالب يميل ويرجح المذهب الحنفي.
- العناية باللغة والنحو في التفسير ظاهرة، ولا سيما في الحديث عن المفردات والتراكيب.
- كما ينقل كَلاَمَ أهل التصوف والتفسير الإشاري، وقد بالغ في ذلك، كما يسرد الإسرائيليات ليقوم بردها وتفنيدها، كما فعل ابن كثير.
- أما في العقيدة فهو ينسب نفسه إلى السلف، ونراه يختار مذهب الأشاعرة في بعض المواضع، ويذهب للتصوف ويغرق فيه في بعض المواضع.

- أما مصادره فقد أولى عناية خاصة بالفخر الرازي في التفسير الكبير، والزمخشري في الكشاف، وابن عطية في المحرر الوجيز، وأبي السعود في إرشاد العقل السليم، وأبي حيان في البحر المحيط.

والمطلع على تفسير روح المعاني يجد نفسه أمام موسوعة تفسيرية كبيرة، حوت أقوالاً كثيرة في التفسير للسلف والخلف، كما أنه يرجع إلى تفاسير كثيرة، فهو جامع لخلاصة كل ما سبقه من التفاسير، فتراه ينقل عن تفسير الفخر الرازى، وابن عطية، وأبى حيان، وأبى السعود، والبيضاوي، وابن كثير، وغيرهم من أصحاب التفسير، وهو في نقله يقدر العلماء الذين سبقوه، فمثلاً: تفسير أبي السعود إذا نقل عنه قال: قال شيخ الإسلام، أما تفسير البيضاوي إذا نقل عنه قال: قال القاضي، وإذا نقل عن تفسير الفخر الرازي، قال: قال الإمام[١٢].

والتفسير بدأ بسورة الفاتحة وانتهى بسورة الناس، كما هو المعتبر عند علماء التفسير، وطبع التفسير عدة طبعات أولها طبعة المنار عام ١٣٥٥هـ، وهي طبعة نادرة، كما طبع في بيروت عام ١٤١٥هـ في خمسة عشر مجلداً، وقد ضبطه وصححه، علي عبد الباري عطية، ، عن طريق دار الكتب العلمية في بيروت، وهي غير محققة.

المبحث الثاني: مناهج العلماء الذين اعتنوا بالمتشابه اللفظي

سنتحدث في هذا المبحث عن أمرين مهمين أحدهما أنواع مناهج العلماء الذين اعتنوا بالمتشابه اللفظي، سواء بالجمع، أو التوجيه والتحليل، أو النظم، كما نشير إلى مؤلفات أولئك العلماء، ثم نتناول بعد ذلك أبرز معالم منهجهم، ونخص بذلك الذين اعتنوا بتوجيه الآيات المتشابهة.

١٢- انظر: التفسير والمفسرون: ٢٥٢ وما بعدها،

أولاً: أنواع مناهج العلماء الذين اعتنوا بالمتشابه اللفظي:

حين نتأمل جهود العلماء الذين ألفوا في علم المتشابه عبر تاريخ أمتنا المجيد، وبإلقاء نظرة شاملة لما حوته المكتبة الإسلامية، نجد أن جهود العلماء في هذا العلم نشأت وتطورت كغيرها من العلوم، فبدأت بملاحظات وإشارات، ثم مرحلة الجمع والتدوين، ثم مرحلة التحليل، وقد كان لعلماء التفسير دور مهم في تلك المراحل بإشاراتهم ولمحاتهم البيانية، ويمكن أن نجمل ذلك في الأمور التالية:

أولاً: الملاحظات والإشارات لمواطن المتشابه اللفظي، وهذه مبثوثة في آثار سلف الأمة، ولا سيما عند جمع من المفسرين.

وهذه اللطائف نجدها في كتب العلماء على مر العصور، وأخص بذلك علماء التفسير، فجزء من جهودهم منصب حول توجيه الآيات، وبيان أسرارها، كما أن لعلماء الحديث، وعلماء اللغة نصيباً في ذلك، وأذكر مثالاً على ذلك، فقد قام الدكتور عبد الفتاح لاشين، بتأمل تراث ابن القيم رحمه الله، وأخرج لنا كتاباً موسوماً بـ(ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن)[١٣].

ولا يسع المقام لذكر شواهد على هذه المرحلة المهمة في تاريخ هذا العلم، ولعلنا نقف وقفة موجزة عند أبرز المفسرين الذين اعتنوا بتوجيه الآيات المتشابهة ضمن تفاسيرهم، منهم:

١- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لجار الله الزمخشري (ت ٥٣٨هـ).

٢- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) للفخر الرازي (ت٦٠٤هـ).

٣- البحر المحيط لأبي حيان (٧٥٤هـ).

١٣- انظر: دار الرائد العربي، بيروت، لبنان ط١، ١٤٠٢ هـ.

٤- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للفخر الرازي (ت١٢٧٠هـ).

٥- التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ).

وتعد هذه المؤلفات أبرز كتب التفسير التي رأيت فيها إشارات ولمحات ظاهرة في العناية بالمتشابه اللفظي، وهذا لا يلغي عناية التفاسير الأخرى، وما جاء فيها من ملاحظات وإشارات قيمة، ومن أولئك: القرطبي وابن كثير، وأبي السعود، والشنقيطي، وغيرهم من أئمة التفسير، التي تزخر مؤلفاتهم بتلك الإشارات واللمحات.

ثانياً: جمع المتشابه اللفظي سواء في رسائل مختصرة، أو مؤلّفات خاصة؛ ولكن بدون توجيه لتلك الاختلافات بين الآيات.

وهذا الجهد طيب، ومثمر لحفاظ كتاب الله تعالى، كما أن فيه تقديم المواضع المتشابهة لطلاب العلم ليعملوا فكرهم، وإنتاجهم العلمي خدمةً لكتاب الله تعالى، وبيان أسراره البلاغية التي لا تحصى ولا تعد.

وهذا الأسلوب تاريخه طويل، ولا يزال طلاب العلم يكتبون، فيجمعون الآيات، ويختصرون جمعهم، ويبوبونه، ويقدمونه لمن يريد حفظ كتاب الله تعالى، وفي قوالب متنوعة من كتب ورسائل ومختصرات، وبرامج حاسوبية لها أثرها بإذن الله تعالى.

إليك طرفاً من العلماء الذين اعتنوا بالجمع قديماً وحديثاً:

١- كتاب (متشابه القرآن) لعلي بن حمزة الكسائي (ت ١٨٩).

٢- (متشابه القرآن العظيم) لأبي الحسين المنادي (ت ٣٣٦).

ومن المتأخرين:

٣- سبيل التثبيت واليقين لحفاظ آيات الذكر الحكيم للشيخ عبد الحميد صفي الدين.

٤- عون الرحمن في حفظ القرآن لأبي ذر القلموني.

٥- تنبيه الحفاظ للآيات المتشابهات الألفاظ للشيخ محمد المسند.

٦- دليل المتشابهات اللفظية في القرآن الكريم للدكتور محمد الصغير.

ثالثاً: توجيه المتشابه اللفظي والوقوف على أسرار التشابه بين الآيات، وذكر العلل والأسرار، وتدوين ذلك في مؤلف خاص.

وهذا الجهد هو الثمرة والغاية التي حث عليها ربنا جل جلاله في كتابه الكريم، حيث تكررت الدعوة للتأمل والتفكر، والنظر في آيات الله، وتدبر كتابه العظيم.

وقد شمّر العلماء الأجلاء بتأليف كتب لها أثرها منذ ألف عام، حيث ألف أول كتاب في توجيه المتشابه اللفظي، ولازال المداد يخط، والعقول تنتج في هذا العلم المهم، وبين أيدينا بعض الكتب التي دونها العلماء المتقدمون الذين أثروا المكتبة الإسلامية في هذا العلم.

أما أبرز العلماء الذين اعتنوا بالتوجيه (من المتقدمين):

أولاً: (درة التنزيل وغرة التأويل) للخطيب الإسكافي (ت٤٢٠)، وهو أهم كتب هذا الفن، وأول من فتح أبواب هذا العلم.

ثانياً: (البرهان في متشابه القرآن) لمحمد بن حمزة الكرماني(ت ٥٠٥)، وقد اعتمد الكرماني على كتاب الإسكافي كثيراً، كما اختصر وأوجز مواضع كثيرة منه.

ثالثاً: (ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل، في توجيه المتشابه اللفظ من أي التنزيل) لابن الزبير الغرناطي(٧٠٨)، وهو أوسع الكتب وأبسطها.

رابعاً: (كشف المعاني في المتشابه من المثاني) لبدر الدين بن جماعة (ت٧٣٣)، وقد اعتمد ابن جماعة على كتاب الكرماني، كما أفاد من ابن الزبير.

خامساً: (فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن) لأبي يحي زكريا الأنصاري (ت٩٢٦)، وقد اختصر ما ذكره الكرماني.

ومن العلماء والباحثين الذين اعتنوا بالتوجيه (من المتأخرين)، ودراساتهم أشبه بتحليل لتوجيهات أولئك العلماء الأجلاء، وتزخر بعقد مقارنة بين تلك التوجيهات، والربط بينها؛ ليكتمل عقد تلك التوجيهات التي لا مشاحة بينها، فكتاب الله يسع تلك الأقوال جميعاً:

١- من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم د. محمد الصامل

٢- المبنى والمعنى في الآيات المتشابهات، ياسين المجيد

٣- البلاغة القرآنية في ملاك التأويل، د. إبراهيم الزيد

٤- المتشابه اللفظي في القرآن الكريم دراسة نحوية بلاغية د. مشهور مشاهرة

٥- المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية د. صالح الشثري

٦- المتشابه اللفظي في القرآن دراسة مقارنة بين الإسكافي والغرناطي، لبيب محمد صالح.

٧- دراسة المتشابه اللفظي في أي التنزيل في كتاب ملاك التأويل للدكتور فاضل السامرائي

٨- أثر دلالة السياق القرآني في توجيه المتشابه اللفظي في قصص القرآن، تهاني سالم باحويرث

٩- توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم بين القدامى والمحدثين، أحمد الغرناطي وفاضل السامرائي: دراسة مقارنة، د. محمد رجائي أحمد الجبالي.

رابعاً: نظم المتشابه اللفظي، وهو أسلوب حصل لعلوم كثير في فترة زمنية من تاريخنا الإسلامي، فقام بعض العلماء بعرض المتشابه اللفظي في صورة منظومة شعرية.

ومن العلماء الذين اعتنوا بالنظم:

١- كتاب (هداية المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب في تبيين متشابه الكتاب) لأبي الحسن علي بن محمد السخاوي (ت ٦٤٣).

٢- منظومة (تتمة البيان لما أشكل في متشابه القرآن) لأبي شامة المقدسي (ت ٦٦٥) وهي في المكتبة الظاهرية بدمشق.

٣- منظومة (كفاية القارئ في مشتبهات القرآن الكريم) لمحمد هاشم الحارثي السندي (ت١١٧٤).

٤- منظومة الدمياطي في متشابه الآي والألفاظ، لمحمد بن مصطفى الخضري الدمياطي (ت ١٢٨٧).

ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره السخاوي، المتوفى سنة (٦٤٣هـ) في منظومته التي جمع فيها الآيات المتشابهة، لتسهيل حفظها، وقد نظمها في واحد وثلاثين وأربع مئة بيت، ورتبها بطريقة معجمية، فحصر الكلمات المتشابهة ورتبها على حروف المعجم، وقد أوضح ذلك في مقدمة الأرجوزة، فقال[١٤]:

١٤- هداية المرتاب للسخاوي، تحقيق: عبد القادر الخطيب الحسني: ٦٦.

وقد نضمت في اشتباه الكلم أرجوزة كاللؤلؤ المنظّم

لقبتُها هدايةَ المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب

أودعتها مواضعاً تخفى على تالي الكتاب وتُريح من تلا

رتبتها على حروف المعجم فأفصحت عن كل أمر مبهم

فإن أردت علم لفظٍ أشكلا فانظر إلى الحرف الذي له تلا

وقد نالت هذه الأرجوزة عناية العلماء، فمنهم من نظم على منوالها، ومنهم من شرحها[١٥].

ثانياً: أبرز معالم منهج العلماء الذين اعتنوا بتوجيه الآيات المتشابهة

حين نتأمل كتب علماء المتشابه اللفظي التي اعتنت بتوجيه الآيات المتشابه، نلحظ معالم بارزة على تلك المؤلفات القيمة، ومن أبرزها:

- الجدة، والإبداع، والابتكار: وهذا ظاهر في مؤلفاتهم التي حوت الآيات المتشابهة، والنظر فيها بعين التحليل الدقيق، فاتصفت تلك المؤلفات بالتميز والإبداع في الجدة في اختيار الموضوع، الجدة في تناول المسائل، وفي الأسلوب والعرض.

- سلك علماء المتشابهة مسلك المفسرين في كتاب الله تعالى، فبدأوا من سورة الفاتحة، واستعرضوا الآيات المتشابهة إلى سورة الناس، فاتسم هذا المسلك بالإحاطة والشمول.

- برز في كتب المتشابه اللفظي التي اعتنت بالتحليل والتوجيه منهج الاستدراك

١٥- انظر: مقدمة التحقيق: ٢٩، وكذلك التسهيل فيما يشتبه على القارئ من آي التنزيل، شرح هداية المرتاب، لعلي إسماعيل هنداوي.

في أثناء توجيه الآيات، سواء كان هذا الاستدراك من استدراك المتأخر على المتقدم، أو كان في دراسة الآية في غير موقعها من السورة، فتطلب الأمر أن يشير المؤلف لموضعها الأول، كما برز نقل المتأخر عن المتقدم، أو اختصار التوجيه، ومن يعقد مقارنة سريعة بين تلك المؤلفات يجد ذلك جلياً.

- حسن العرض والترتيب، وتنوع المصادر: برز في كتب المتشابهة الفظي ظاهرة حسن العرض وطريقة ترتيب المسائل، فكل مسألة كأنها مبحث مصغر، كما أن تنوع المصادر في توجيه الآيات سمة بارزة في المنهج، فتجد تأملات في علوم القرآن، والحديث الشريف، والأثر، وعلم القراءات، وأقوال المفسرين، وآراء النحاة واللغويين، لتقدم الثراء المنهجي في تناول المسألة.

- المنهج التطبيقي: من معالم منهج علماء المتشابه اللفظي استخدام المنهج التطبيقي، سواء في دراسة المفردات من تذكير وتأنيث وإفراد وجمع وتعريف وتنكير، أو اختيار لمفردة دون غيرها، أو مرادفها، أو دلالة حروف المعاني في الآيات المتشابهة، أو في موضوع التراكيب من تقديم وتأخير وذكر وحذف، ووصل وفصل. كما أن المنهج اتسم بطول النفس في عرض المسائل.

- كما يلاحظ الاختلافات بين المؤلفات من حيث الطول والقصر في عرض المسائل، فبعض المؤلفات اتسمت بالاختصار، وبعضها بطول العرض وبسط المسألة، كما يلاحظ قوة الشخصية في بعض المؤلفات كملاك التأويل، بينما نجد المتابعة والاختصار في كشف المعاني وفتح الرحمن.

- وأختم بملاحظة مهمة، وهي: أن بعض المؤلفات والكتب الحديثة التي اعتنت بدراسة الآيات المتشابهة وتوجيهها اتبعت أسلوباً جديداً في عرض المسائل ودراستها، ويقوم هذا المنهج على دراسة الآيات المتشابهة وفق نظام بناء الكلام بِدءاً بالمفردة ثم الجملة والتركيب.

فالجانب الأول يبحث الكلمة المفردة في المتشابه اللفظي ويشمل: الاختلاف بين الآيات المتشابهة في اختيار المفردة دون غيرها من المفردات، واختيار الصيغة، وكذلك في الإفراد والجمع، والتذكير والتأنيث، والتعريف والتنكير، والاختلاف في حروف المعاني.

أما الجانب الثاني فيبحث في التراكيب في المتشابه اللفظي، ويشمل الاختلاف بين الآيات المتشابهة في الذكر والحذف، والتقديم والتأخير، والفصل والوصل.

وسنستعرض بعضاً من المسائل التي وردت في تفسير روح المعاني بناءً على هذا المنهج.

المبحث الثالث: منهج الإمام الألوسي في توجيه الآيات المتشابهة

الحديث عن منهج الإمام الألوسي في توجيه الآيات المتشابهة حديث ينطبق على كتب التفسير الأخرى؛ لأنها تسير وفق منهج واحد، فالآيات المتشابهة في القرآن الكريم والتي تقارب الثلاث مئة آية مبثوثة في كتاب الله تعالى، فلا يوجد تفسير جمع الآيات، أو عقد لها حديثاً خاصاً في موطنها من السورة، وإنما يأتي الحديث عنها حسب ما يقتضيه المقام، فآيات المتشابه اللفظي تعرض لها المفسرون كما تعرضوا لغيرها بذكر المعنى، وسرد أقوال العلماء، وتفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالمأثور مما هو متعارف عليه في منهج العلماء في تفسير القرآن الكريم، ولكن لم تحصل وقفات متأنية للوقوف على أسرار الاختلاف بين الآيات المتشابهة إلا في مواطن معدودة على اختلاف بين المفسرين في اختيارها وتحليلها.

كما أن منهج المفسرين منهج يبدأ بمقدمة التفسير وبيان الطريقة التي يسير عليها، بعد ذلك يبدأ المؤلف في تفسير كتاب الله تعالى مبتدئاً بسورة الفاتحة، ويختم التفسير بسورة الناس، وتقوم هذه التفاسير على مناهج في تفسير كلام

الله تعالى سواء في بيان المعاني، ودلالات الألفاظ، وسرد المأثور من أقول المصطفى صلى الله عليه وسلم، وأقوال الصحابة رضي الله عنهم، والتابعين لهم، والاسترشاد بكلام العرب شعره ونثره، وبيان أسباب النزول، والقراءات الواردة في الآيات، ولا تخلو من الإشارة إلى أقوال العلماء، ومن ثم الترجيح بينها.

كما لا يعدم التأثر والتأثير فالمتأخر ينقل عن المتقدم، وهذا ليس عند المفسرين، بل عند علماء المتشابه اللفظي أيضاً، وقد سبق إن أشرت إلى ذلك في المبحث الثاني.

ولا يخفى أن جار الله الزمخشري له أثر كبير في إظهار الجانب البلاغي، وأسرار البيان في كتاب الله تعالى، حيث طبق نظرية النظم التي أبدعها الإمام عبد القاهر الجرجاني، وهذا يظهر تميز كتابه الكشاف عن بقية التفاسير في تطبيق المنهج لنظرية النظم، ولهذا رأينا أن كثيراً من التفاسير نقلت عن الزمخشري تحليله للآيات المتشابهة.

وبعد النظر في تفسير روح المعاني، رأيت أن الألوسي رحمه الله تعالى قد تحدث عن ثلاثين موضعاً في كتاب الله تعالى تمثل مواضع الآيات المتشابهة تشابهاً لفظياً في التفسير، وهذه المواضع يتم النظر فيها حسب ما يقتضيه تفسير الآية، وأغلب هذه المواضع وقف عندها الألوسي بناءً على توجيه من تقدمه من المفسرين، كما يلاحظ موافقته لمن تقدمه في توجيه الآية في أغلبها.

وبعد تأمل المسائل التي دونها الإمام الالوسي رحمه الله، نلحظ معالم مهمة في منهجه في توجيه الآيات المتشابهة، لعلي أشير إليها بشكل موجز:

١- المنهج التطبيقي: ربط الموضع بالسياق المتقدم أو المتأخر، الربط بين الظواهر

البلاغية في الآية الواحدة.

٢- الأسلوب المتميز الواضح، والقدرة اللغوية والنحوية في أداء المعنى بأوجز عبارة ممكنة.

٣- المتابعة في كثير من المسائل حيث اعتمد كثيراً على ما أورده الزمخشري والبيضاوي وأبو السعود.

٤- موافقة علماء المتشابه اللفظي في كثير من المسائل، وأخص بذلك الخطيب الإسكافي، والإمام الكرماني، وابن الزبير الغرناطي.

٥- الشخصية في عرض الرأي فهو يناقش آراء المتقدمين، ويوافقهم إذا وافق تحليله، وقد يخالفهم ويرد رأيهم، وربما قدّم توجيهاً جديداً من خلال تحليله لأقوال المتقدمين.

أما المسائل التي تحدث عنها الألوسي في روح المعاني فسوف نستعرضها بطريقة موضوعية حيث نتناول أولاً المسائل المتصلة باللفظ المفرد، وهي الاختلاف في صيغ الفعل الماضي، الاختلاف في الجمع والإفراد، وفي التذكير والتأنيث، وفي التعريف والتنكير، ثم في اختيار الحروف.

أما الاختلاف في التركيب فسيكون حول الذكر والحذف، والتقديم والتأخير، والفصل والوصل.

المتشابه اللفظي في باب المفردات:

الاختلاف في صيغة الماضي والمضارع:

السور المفتتحة بـ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ ﴾، و ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ ﴾، وقد ورد لفظ الماضي في أول سورة الحديد، أما لفظ المضارع فورد في أول سورة التغابن والجمعة.

يقول الإمام الألوسي عن افتتاح سورة الحديد: «عبر بالماضي هنا، وفي بعض الأخوات، وبالمضارع في البعض الآخر إيذانًا بتحقق التسبيح في جميع الأوقات، وفي كل دلالة على أن من شأن ما أسند إليه التسبيح أن يسبحه، وذلك هجيراه وديدنه، أما دلالة المضارع عليه فللدلالة على الاستمرار إلى زمان الأخبار، وكذلك فيما يأتي من الزمان لعموم المعنى المقتضى للتسبيح، وصلوح اللفظ لذلك، حيث جرد عن الدلالة على الزمان، وأوثر على الاسم دلالة على تجدد تسبيح غبّ تسبيح، وأما دلالة الماضي فللتجرد عن الزمان أيضًا مع التحقيق الذي هو مقتضاه، فيشمل الماضي من الزمان ومستقبله كذلك، وقيل: الإيذان والدلالة على الاستمرار مستفادان من مجموعي الماضي والمضارع حيث دل الماضي على الاستمرار إلى زمان الإخبار والمضارع على الاستمرار في الحال والاستقبال فشملا معاً جميع الأزمنة، وقال الطيبي: افتتحت بعض السور بلفظ المصدر وبعض بالماضي وبعض بالمضارع وبعض بالأمر، فاستوعب جميع جهات هذه الكلمة إعلاماً بأن المكونات من لدن إخراجها من العدم إلى الوجود إلى الأبد مسبحة مقدسة لذاته سبحانه وتعالى قولا وفعلا طوعا وكرهاً»[١٦].

وهو رأي موافق لمن سبقه من المفسرين، مثل: الزمخشري[١٧]، والفخر

١٦- روح المعاني: ١٤ / ١٦٦.

١٧- أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الزمخشري. ولد في زَمَخْشَر سنة ٤٦٧ هـ، وتوفي سنة ٥٣٨ هـ في جرجانية خوارزم، برع في الآداب، وصنف التصانيف، وَرَدَ العراق، وخراسان، ما دخل بلدا إلا واجتمعوا عليه، وتتلمذوا له، وكان علامة نسابة، له مؤلفات في فنون مختلفة، من أهم مؤلفاته كتاب: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل انظر: التفسير والمفسرون: ١ / ٤٢٩.

الرازي[١٨]، وأبو حيان[١٩]، وابن عاشور[٢٠] [٢١].

ويوضح ابن الزبير الغرناطي[٢٢] وهو من علماء المتشابه اللفظي الفرق بأن دلالة (سبّح) هي الماضي، أما (يسبح) فالحال والاستقبال، وحين نضمهما معاً يحرزان الاستمرار والدوام والماضي والحاضر. يقول: (إن لفظ الماضي في (سبح)، ولفظ المضارع في (يسبح) يحرزان الاستمرار والدوام ولا تحرز إحدى العبارتين ذلك إلا بالتأويل والتقدير فكان الجمع بين محرزي ذلك أولى.. وكان ورود أكثرها على التعبير بالماضي؛ لأنه أوضح في استحكام الثبات وامتداده)[٢٣]، ومع هذا لم يوضح لماذا اختصت هذه بالماضي، وتلك بالمضارع. أما ابن جماعة[٢٤] فقد أخذ توجيه ابن الزبير واختصره[٢٥].

١٨- أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، ولد سنة ٥٤٤هـ، وتوفي: ٦٠٦هـ، عرف بالفخر الرازي، وهو إمام ومفسر شافعي، عالم موسوعي في كل الفنون، وأهم كتبه كتاب في تفسير القرآن الكريم، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، وهو من أشمل كتب التفسير، انظر: التفسير والمفسرون: ١ / ٢٩٠.

١٩- هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، أثير الدين، أبو حيان، الغرناطي الأندلسي، ولد في غرناطة سنة ٦٥٤هـ، وتوفي سنة ٧٤٥هـ، فقيه ظاهري، طلب العلم في أقطار كثيرة، وكانت له مكانة بين العلماء، من أشهر أعمال أبي حيان وأعظمها هو تفسيره البحر المحيط الذي يُعد قمة التفاسير التي عنيت بالنحو: انظر: التفسير والمفسرون: ١ / ٣١٧

٢٠- ولد العلامة الفقيه محمد الطاهر بن عاشور بتونس عام ١٢٩٦ هـ وأسرته منحدرة من الأندلس ترجع أصولها إلى أشراف المغرب الأدارسة تعلم بجامع الزيتونة ثم أصبح من كبار علمائه، وتوفي رحمه الله عام ١٣٩٣ هـ، ومن أشهر مؤلفاته كتاب التحرير والتنوير في تفسير القرآن الكريم، انظر:: التقريب لتفسير التحرير والتنوير، لمحمد بن إبراهيم الحمد: ٢٨..

٢١- انظر: الكشاف:٤ / ٦٠، والتفسير الكبير:٢٩ / ١٧٩-١٨٠، والبحر المحيط: ٨ / ٢١٧، والتحرير والتنوير:٢٨ / ٢٦٠.

٢٢- هو أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، ولد ببلدة جيّان بالأندلس عام ٦٢٧هـ، ونشأ في بيئة غنية كان لها الأثر في إعانته على طلب العلم، تولى التدريس والقضاء، والإمامة والخطابة بغرناطة، له مؤلفات حسنة، منها: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، توفي سنة ٧٠٨هـ بغرناطة، انظر: الأعلام: ١ / ٨٦.

٢٣- ملاك التأويل:٢ / ١٠٧٠.

٢٤- هو أبو عبد الله بدر الدين محمد إبراهيم بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، ولد سنة ٦٣٩هـ في حماة، إحدى مدن الشام، في بيت علم ومهابة، تنقل بين الأقطار في طلب العلم، وله مصنفات كثيرة، توفي سنة ٧٣٣هـ، انظر: كشف المعاني لابن جماعة، تحقيق: عبد الوهاب المشهداني: ١٨.

٢٥- انظر: كشف المعاني في المتشابه من المثاني: ٣٥٠.

ومن الاختلاف في صيغ الفعل الماضي قوله تعالى في خبر يأجوج ومأجوج في سورة الكهف: ﴿ فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴾:٩٧، فجاء الفعل الأول بالتخفيف بحذف التاء، بينما جاء الفعل في آخر الآية تاماً بدون حذف.

يقول الإمام الألوسي: ﴿ فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓاْ ﴾ بحذف تاء الافتعال تخفيفًا وحذرًا عن تلاقي المتقاربين في المخرج وهما الطاء والتاء... ﴿ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴾ لصلابته وثخانته... ولا يخفى لطف الإتيان بالتاء في استطاعوا هنا». فذكر أن ذلك حذراً من تلاقي المتقاربين في المخرج، وهما الطاء والتاء[٢٦]، وهذا تعليل عام لا ينظر إلى موقع اللفظ ومعناه المؤمل.

وهذا موافق لما ذكره الزمخشري من أن حذف التاء في ﴿ ٱسْطَـٰعُوٓاْ ﴾للتخفيف[٢٧]، وتابعه الرازي[٢٨].

وأما ابن الزبير فنظر للفظ والمعنى فذكر أن لفظ (استطاع) هو الأصل، وقد تحذف التاء، أو الطاء تخفيفاً. (فجيء أولاً بالفعل مخففاً عند إرادة نفي قدرتهم على الظهور على السد والصعود فوقه، ثم جيء بأصل الفعل مستوفى الحروف عند نفي قدرتهم على نقبه وخرقه، ولا شك أن الظهور أيسر من النقب، والنقب أشد عليهم وأثقل فجيء بالفعل مخففاً مع الأخف، وجيء به تاماً مستوفى مع الأثقل فتناسب... وأيضاً فإن الثاني في محل التأكيد لنفي قدرتهم على الاستيلاء على السد وتمكنهم منه، فناسب ذلك الإطالة، وهذا يفتقر إلى بسط وبيان، مع أن الأول أولى..)[٢٩].

وابن الزبير في تعليله يلائم بين اللفظ والمعنى، فالمعنى الأثقل وهو النقب

٢٦- انظر: روح المعاني:٨ / ٣٣٧.
٢٧- انظر: الكشاف: ٢ / ٤٩٩.
٢٨- انظر: التفسير الكبير: ٢١ / ١٤٦.
٢٩- ملاك التأويل: ٢ / ٧٩١.

يأتي مع اللفظ الأثقل وهو استطاعوا، بينما جاء معنى الظهور وهو الأخف مع لفظ اسطاعوا.

ومثل الموضع السابق ما ذكره الألوسي عن آية سورة الكهف في قصة الخضر مع موسى عليهما السلام ﴿ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾:٧٨، والآية الثانية قوله بعد التأويل: ﴿ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾، فذكر أن الحذف للتخفيف لما تكرر في القصة فناسبه ذلك، وذكر تعليلاً آخر للفظ (تسطع) وهو: أنه لما خفّ على موسى عليه السلام ما لقيه ببيان سببه، خص بذلك[٣٠]. وهذا توجيه فيه تأمّل وبعد نظر، لأنه بني على هذه الملاحظة اللطيفة، وهي أن موسى عليه السلام لما فسّر له الخضر ما كان مبهماً، لا يعرف له وجهاً خفّ عنه ما كان يعانيه من أفعال غريبة عليه.

وشيء آخر يهدينا إليه تعليل الألوسي وهو أن اللفظ المخفف وقع عليه النفي، يعني نفى عنه الاستطاعة المخففة، أي هو لم يصبر ولم يتحمل أي قدر من التحمل، لأنه عليه السلام كان يبادر الخضر بالاستنكار والتعجب ﴿ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ﴾، ﴿ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ ﴾، ﴿ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾، والخضر قد اشترط عليه إن صحبه ألا يسأله عن شيء حتى يحدث له منه ذكراً، فيقول له في المرة الأولى: ﴿ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾، وفي المرة الثانية ﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾، وفي هذه المرة زاد حرف اللام للتوكيد، وهو فيها يكرر نفي الاستطاعة، وفي النهاية ذكر أنه لم يسطع أي قدر من الاستطاعة.

وقد ذكر الإمام الكرماني[٣١] أن سبب مجيء الفعل (تستطع) في الأول، لأنه الأصل، وجاء في ختام القصة (تسطع) على التخفيف، لأنه الفرع، وقال: (جاء

٣٠- انظر: روح المعاني: ٨ / ٣٣٧.

٣١- هو محمود بن حمزة بن نَصْر الكَرْمَاني، النحوي، تاج القراء، وأحد العلماء الفقهاء النبلاء، صاحب التصانيف والفضل، لم يفارق وطنه كرمان، من أعمال فارس، برع في علوم القرآن والنحو، وتوفي بعد الخمسمائة من الهجرة النبوية، انظر: الأعلام: ٧ / ١٦٨.

به في الأول على الأصل، وفي الثاني (تسطع) على التخفيف، لأنه الفرع)[٣٢]، ووافقه ابن جماعة الذي نقل نص كلامه وتابعهما أبو يحيى الأنصاري[٣٣] [٣٤].

الاختلاف في الجمع والإفراد:

جاء الاختلاف بين صيغة الجمع في لفظ (النبيين) و(الأنبياء)، فقد ورد في سورة البقرة قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾:٦١، وفي آل عمران: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾:١١٢. فجاءت الأولى بصيغة جمع السلامة، بينما جاءت الثانية بصيغة جمع التصحيح، فقد ذكر الإمام الألوسي أنه لا فرق في الدلالة بين النبيين والأنبياء، لأن الجمعين إذا دخلت عليهما (أل) تساويا، بخلاف حالهما إذا كانا نكرتين، لأن جمع السلامة إذ ذاك ظاهر في القلة، وجمع التكسير على (أفعلاء) ظاهر في الكثرة. وأوضح أن نافعاً قرأ بالهمز (النبيئين) وحده، أما غيره فقرأ بالتسهيل[٣٥]، وهو رأي أبي حيان وقد أشار إليه الألوسي[٣٦].

وقد أجاب الكرماني في البرهان عن ذلك إجابة مقتضبة فذكر أن جمع النبيين جمع سلامة في آية البقرة لموافقة ما بعده من قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ﴾ آية: ٦٢ [٣٧]، واكتفى بذلك، ومثل هذا التوجيه يكاد يكون أصلاً عند الكرماني حيث يعوّل كثيراً على التلاؤم في بناء الألفاظ وتوافقها في

٣٢- البرهان في متشابه القرآن: ٢٥٨.
٣٣- هو شيخ الإسلام أبو يحيى زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري السُّنيكي المصري الشافعي، ولد بسنيكة سنة ٨٢٥هـ، نشأ فقيراً معدماً، لزم الأزهر وتعلّم العلوم، توفي سنة ٩٢٥هـ، انظر: الأعلام: ٣ / ٤٦.
٣٤- انظر: كشف المعاني: ٢٤٤، وفتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن:٢٤٩.
٣٥- انظر: روح المعاني: ١ / ٢٧٧.
٣٦- انظر: البحر المحيط: ١ / ٢٣٧.
٣٧- انظر: البرهان: ١٢٦.

السياق. وقد وافقه الفيروزآبادي[٣٨] الذي نقل توجيهه[٣٩].

أما ابن الزبير الغرناطي فيرى أن (جمع التكسير يشمل أولي العلم وغيرهم، أما جمع السلامة فيختص في أصل الوضع بأولي العلم، وإذا تقرر هذا فورود جمع السلامة في سورة البقرة مناسب من وجهتين: إحداهما: شرف الجمع لشرف المجموع، والثانية: مناسبة زيادة المد لزيادة أداة التعريف في لفظ الحق..

ولما لم يكن في الآية الثانية سوى شرف المجموع، وكانت العرب تتسع في جموع التكسير فتوقعها على أولي العلم وغيرهم، أتي بالجمع هنا مكسّراً لتحصل اللغتان حتى لا يبقى لمن تُحدي بالقرآن حجة إذ هم مخاطبون بما في لغاتهم)[٤٠].

ويرى أبو حيان أنه لا فرق في الدلالة بين النبيين والأنبياء، لأن الجمعين إذا دخلت عليهما (أل) تساويا، بخلاف حالهما إذا كانا نكرتين، لأن جمع السلامة إذ ذاك ظاهر في القلة، وجمع التكسير على (أفعلاء) ظاهر في الكثرة. وأوضح أن نافعاً قرأ بالهمز (النبيئين) وحده، أما غيره فقرأ بالتسهيل[٤١]. ووافقه الألوسي[٤٢].

وفي إشارته الأخيرة ردٌّ على ابن الزبير حين قال: (مناسبة زيادة المد لزيادة أداة التعريف في لفظ الحق)؛ لأن التعليل يعتمد على قراءة نافع التي تمد اللفظ مداً متصلاً نظراً لإثبات الهمز، فإذا جاءت قراءة أخرى غير قراءة نافع اختفى المد، وبه يختفي التعليل، وعلى هذا فإن التوجيهات متقاربة، وإن كان أقربها ما ذكره الكرماني، فقد أكد تعليله بآية مشابهة وهي ما ورد في سورة آل عمران ﴿ إِنَّ

٣٨- أبو طاهر مجيد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشيرازي الفيروزآبادي، ولد بكازرون وهي بلدة بفارس سنة ٧٢٩ هـ، صاحب تصانيف كثيرة في علوم مختلفة كاللغة والتفسير والحديث والتاريخ والفقه توفي في زبيد سنة ٨١٧ هـ، انظر: مقدمة محقق كتاب بصائر ذوي التمييز محمد النجار: ١٣.

٣٩- انظر: بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز: ١ / ١٤٤.

٤٠- ملاك التأويل: ١ / ٢١٧-٢١٨.

٤١- انظر: البحر المحيط: ١ / ٢٣٧.

٤٢- انظر: روح المعاني: ١ / ٢٧٧.

ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ ﴾:٢١، فلفظ (النبيين) جُمع جمع سلامة لموافقة ما بعده، ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ أَعۡمَـٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴾:٢٢، وفي الآية التي تليها ﴿ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ وَهُم مُّعۡرِضُونَ ﴾:٢٣، فوافق اللفظ قوله:(الذين) و(ناصرين) و(معرضون).

ومن نافلة القول أن لفظ (النبيين) لم يقع في القرآن الكريم بعد فعل القتل إلا في آيتي البقرة: (٦١)، وآل عمران(٢١)، بينما وقع لفظ (الأنبياء) بعد فعل القتل في ثلاثة مواضع: موضعين في آل عمران(١١٢، ١٨١)، وموضع في النساء (١٥٥).

الاختلاف في التذكير والتأنيث:

من المواضع قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ ﴾:٤٩، فجاء الضمير المجرور في قوله: (فيه) مذكّراً، وفي المائدة ورد الضمير مؤنثاً يقول تعالى: ﴿ وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِيۖ ﴾:١١٠.

فقد ذكر الألوسي أن الضمير للهيئة المقدرة في نظم الكلام لكن عنى الشيء المهيأ لا عنى العرض القائم به، إذ لا يصح أن يكون ذلك محلًا للنفخ. وذكّر الضمير هنا مراعاة للمعنى، كما أنث في المائدة مراعاة للفظ، قيل: وصح هذا لعدم الإلباس[٤٣].

وهو توجيه مستسقى من الزمخشري، ووافقه كل من: الفخر الرازي في التفسير الكبير[٤٤]، وأبي حيان[٤٥]، وابن عاشور[٤٦].

٤٣- انظر: روح المعاني: ٢ / ١٦١.
٤٤- انظر: التفسير الكبير: ١٢ / ١٠٥.
٤٥- انظر: البحر المحيط: ٢ / ٤٦٦، ٤ / ٥١-٥٢.
٤٦- انظر: التحرير والتنوير: ٧ / ١٠٢.

الاختلاف في التعريف والتنكير:

من مواضع التعريف والتنكير التي تناولها الإمام الألوسي قوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ :٦١، والثانية والثالثة في سورة آل عمران يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾:٢١، وقوله: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾ :١١٢، فقد أوضح السر في تنكير لفظ (حق) في آيتي آل عمران، كما بيّن سر التعريف في آية البقرة.

ويقول الألوسي «وقيد القتل بغير الحق مع أن قتل الأنبياء لا يكون إلا كذلك للإيذان بأن ذلك بغير الحق عندهم إذ لم يكن أحد معتقدًا حقية قتل أحد منهم عليهم السلام، وإنما حملهم عليه حب الدنيا، واتباع الهوى والغلو في العصيان، والاعتداء فاللام في الحق على هذا للعهد، وقيل: الأظهر أنها للجنس، والمراد بغير حق أصلًا إذ لام الجنس المبهم كالنكرة، ويؤيده ما في آل عمران (١٢): ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ فيفيد أنه لم يكن حقًا باعتقادهم أيضًا، ويمكن أن يكون فائدة التقييد إظهار معايب صنيعهم فإنه قتل النبي ثم جماعة منهم ثم كونه بغير الحق، وهذا أوفق بما هو الظاهر من كون المنهي القتل بغير الحق في نفس الأمر سواء كان حقًا عند القاتل أو لا إلا أن الاقتصار على القتل بغير الحق عندهم أنسب للتعريض بما هم فيه على ما قيل، والقول: بأنه يمكن أن يقال لو لم يقيد بغير الحق لأفاد أن من خواص النبوة أنه لو قتل أحدًا بغير حق لا يقتص، ففائدة التقييد أن يكون النظم مفيدًا لما هو الحكم الشرعي بعيد كما لا يخفى، قال بعض المتأخرين: هذا كله إذا كان الغير عنى النفي أي بلا حق، أما إذا كان عناه أي بسبب أمر مغاير للحق أي الباطل فالتقييد

مفيد لأن قتلهم النبيين بسبب الباطل وحمايته، [٤٧].

وهو في هذا قد وافق من تقدمه كأبي حيان[٤٨]، والفخر الرازي[٤٩]، الأنصاري.[٥٠]

الاختلاف في الحروف:

من مواطن الآيات المتشابهة الاختلاف في حرف (ثم) مع (الفاء) في قوله تعالى في الأنعام: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ :١١، فورد العطف بـ(ثم)، بينما جاء العطف في آيات مشابهة لها بالفاء:(قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ)[٥١].

وقد تأمل الألوسي ما ذكره العلماء قبله فذكر رأي الزمخشري فقال: «وفرّق الزمخشري بين هذه الآية وقوله تعالى في سورة النمل: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ﴾ :٦٩ بحمل الأمر بالسير هنا على الإباحة المذكورة آنفًا، وحمل الأمر به هناك على السير لأجل النظر. ولهذا كان العطف بالفاء في تلك الآية».

ثم أعقبه بذكر رأي آخر اختاره عن غيره، وهو رأي الخطيب الإسكافي[٥٢]، قال: «ونظر فيه بعضهم بغير ما أشرنا إليه أيضًا. فذكر أن التحقيق أنه سبحانه قال هنا: ﴿ثُمَّ ٱنظُرُواْ﴾ وفي ﴿فَٱنظُرُواْ﴾ آل عمران: ١٣٧، النمل: ٣٦، العنكبوت: ٢٠، الروم: ٤٢، لأن المقام هنا يقتضي (ثم) دونه في هاتيك المواضع، وذلك لتقدم قوله تعالى فيما نحن فيه ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِي

٤٧- هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي الرازي، له تصانيف حسنة، وهو أحد أصحاب ابن عباد، وهو من أهل أصبهان، وكان خطيباً بالري توفي: ٤٢٠هـ، انظر: الأعلام: ٦/ ٢٢١-٢٢٧.
٤٨- انظر: البحر المحيط: ١/ ٢٣٧.
٤٩- انظر: التفسير الكبير: ٣/ ٩٦.
٥٠- انظر: فتح الرحمن: ٢٩-٣٠.
٥١- سورة النمل، آية: ٦٩، والعنكبوت: ٢٠، والروم: ٤٢.
٥٢- روح المعاني: ١٤/ ١٦٦.

ٱلْأَرْضِ ﴾ مع قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾ :الأنعام: ٦، والأول يدل على أن الهالكين طوائف كثيرة، والثاني يدل على أن المنشأ بعدهم أيضًا كثيرون، فيكون أمرهم بالسير دعاء لهم إلى العلم بذلك، فيكون المراد به استقراء البلاد ومنازل أهل الفساد على كثرتها، ليروا الآثار في ديار بعد ديار، وهذا مما يحتاج إلى زمان ومدة طويلة تمنع من التعقيب الذي تقتضيه الفاء..»[٥٣].

وهو رأي الإسكافي، وافقه عليه الكرماني، وابن جماعة، والأنصاري[٥٤].

أما الزمخشري فوافق الإسكافي في توجيه العطف بالفاء، أما آية الأنعام فخرّجها حسب ما أشار إليه الألوسي في روح المعاني[٥٥].

ومن المواضع في اختلاف الحروف قوله تعالى في سورة لقمان: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾:٢٩، فجاء التعبير بالحرف (إلى)، وفي غيرها من الآيات ورد باللام، يقول تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾[٥٦].

الألوسي ذكر أن: «جرى يتعدى بإلى تارة، وباللام أخرى، وتعديته بالأول بإلى باعتبار كون المجرور غاية، وبالثاني باللام باعتبار كونه غرضاً فتكون اللام لام تعليل أو عاقبة، وجعلها الزمخشري للاختصاص، ولكل وجه، ولم يظهر لي وجه اختصاص هذا المقام بإلى وغيره باللام)[٥٧].

ويرى الخطيب أن اللام في الآية الثانية يقصد بها بلوغ الأجل وإدراكه، أما (إلى) في الآية الأولى تدل على الانتهاء، وسائر المواضع التي ذكرت فيها اللام إنما هي في الإخبار عن ابتداء، ووافقه عليه الزمخشري، وأبو حيان، كما وافقه

٥٣- انظر: روح المعاني: ٤ / ٩٨، وانظر:.
٥٤- درة التنزيل: ٥٩-٦٠، البرهان: ١٦٥-١٦٦، كشف المعاني: ١٥٦، فتح الرحمن: ١١٧.
٥٥- انظر: الكشاف: ٢ / ٧.
٥٦- سورة الرعد: ٢، وغافر: ١٣، والزمر: ٥.
٥٧- روح المعاني: ١١ / ١٠١.

ابن جماعة، الأنصاري[٥٨].

المتشابه اللفظي في باب التراكيب:

أولاً: من مواضع الحذف

من المواضع التي أشار إليها الإمام الألوسي، ما ورد في سورة الأعراف في قصتي نوح وهود عليهما السلام، ففي قصة نوح يقول تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ :٦٠، وفي قصة هود ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ :٦٦، فذكر في الثانية قوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، بينما حذفت الجملة من الآية الأولى.

ذكر الألوسي أنه في قصة هود قال: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ﴾ فقيد «الملأ المعاند بمن كفر وأطلق هناك، وقد صرحوا بأن هذا الوصف؛ لأنه لم يكن كلهم على الكفر بل من أشرافهم من آمن به عليه السلام، كمرثد بن سعد الذي كان يكتم إيمانه، ولا كذلك قوم نوح، ومن آمن به عليه السلام منهم لم يكن من الأشراف كما هو الغالب في أتباع الرسل عليهم السلام، وقيل إنه وقت مخاطبة نوح عليه السلام لقومه لم يكونوا آمنوا، بخلاف قوم هود، ومثله كما قال الشهاب يحتاج إلى نقل. واعترض المولى بهاء الدين على تلك التفرقة بين القومين بأنه قد جاء في سورة المؤمنين (٣٢) وصف قوم نوح بما وصف به قوم هود هنا فكيف تتأتى هذه التفرقة؟ وأجيب بأن الوصف هناك محمول على أنه للذم لا للتمييز وإنما لم يذم هاهنا للإشارة إلى التفرقة»[٥٩] وهذا الرأي قال به الزمخشري قبل الألوسي، كما ذكره الرازي وأبو حيان[٦٠].

٥٨- انظر: درة التنزيل: ٢٠٩، والكشاف: ٣ / ٢٣٧، والبحر المحيط: ٧ / ١٩٣، كشف المعاني: ٢٩٧، وفتح الرحمن: ٣٣١.
٥٩- روح المعاني: ٤ / ٣٩٣.
٦٠- انظر: الكشاف: ٢ / ٨٧، والتفسير الكبير: ١٤ / ١٢٦، والبحر المحيط: ٤ / ٣٢٣-٣٢٤.

أما ابن الزبير الغرناطي فذكر في ملاك التأويل بأن سبب الحذف في قصة نوح عليه السلام هو أن في دعائه عليه السلام ما يفيد أنهم على الكفر والضلال يقول تعالى على لسان نبيه نوح: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾:٥٩، فاكتفى بذلك عن ذكر ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ مما يقتضيه الإيجاز، أما دعاء هود عليه السلام فلم يقع فيه ما وقع في دعاء نوح عليه السلام لأنه قال في دعائه لهم: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ ٦٥: [٦١].

ومن المواضع أيضاً ذكر الضمير المنفصل في قوله تعالى في سورة الحج: ﴿وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾: ٦٢، وفي سورة لقمان جاءت الآية بدون الضمير، يقول تعالى: ﴿وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ﴾:٣٠.

وافق الألوسي علماء المتشابه اللفظي في توجيه الذكر والحذف بين الآيتين، وفي التوجيه ربط بين سياق آية الحج وبين سياق الآيات التي قبلها، وفيه ملاحظة أن سياق الآيات قبلها قد أكد بعدة مؤكدات مترادفة في ستة مواضع، من لدن قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآيات، فلما بني السياق المتقدم على ذلك أكّد هذه الآية بضمير الفصل، أما آية لقمان فلم يتقدمها مثل ذلك فلم يحتج إلى ضمير الفصل.

يقول الألوسي: «وزيادة هو هنا دون ما في سورة لقمان من نظير هذه الآية؛ لأن ما هنا وقع بين عشر آيات كل آية مؤكدة مرة أو مرتين، ولهذا أيضًا زيدت اللام في قوله تعالى الآتي ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾: الحج: ٦٤ دون نظيره في تلك السورة، ويمكن أن يقال تقدم في هذه السورة ذكر الشيطان فلهذا ذكرت هذه المؤكدات بخلاف سورة لقمان فإنه لم يتقدم ذكر الشيطان هناك بنحو ما ذكر هاهنا قاله النيسابوري، ويجوز أن يكون زيادة (هُوَ) في هذا

٦١- انظر: ملاك التأويل: ١ / ٥٢٩.

الموضع؛ لأن المعلل فيه أزيد من في ذلك الموضع فتأمل ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾ على جميع الأشياء (الكبير) عن أن يكون له سبحانه شريك لا شيء أعلى منه تعالى شأنا وأكبر سلطانا[٦٢].

وقد وافق الإسكافي الكرماني، وتابعهما ابن جماعة، والأنصاري[٦٣].

ولنتأمل قوله تعالى سورة الكهف: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ :٧٢، وفي الآية التي بعدها زاد ذكر القيد (لك) فقال: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾:٧٥.

في الآية الأولى قصد بها الخضر عليه السلام تذكير موسى عليه السلام بوصيته له، وبما شرطه عليه، فخاطبه بلطف وأدب، وفي الآية الثانية كرر موسى الإنكار، لما رأى قتل الغلام فشدد عليه الخضر، وأكد كلامه بقوله (لك) زيادة في عتابه عليه بترك الوصية مرة ثانية.

يقول الألوسي: «زيادة (لَكَ) لزيادة المكافحة على رفض الوصية، وقلة التثبت والصبر لما تكرر منه، الاشمئزاز والاستنكار، ولم يرعو بالتذكير حتى زاد في النكير في المرة الثانية»[٦٤].

ثانياً: من مواضع التقديم والتأخير:

من مواضع التقديم والتأخير التي وردت في تفسير روح المعاني، وأجمع عليها علماء المتشابه وغيرهم من المفسرين ما جاء في سورة الأنعام في قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ :١٥١، حيث قدّم رزق المخاطبين على رزق أولادهم المدلول عليه بعطف ضميرهم عليه، وفي سورة

٦٢- انظر: روح المعاني: ٩/ ١٨٢.
٦٣- انظر: درة التنزيل: ١٧٣، والبرهان: ٢٧٤، وكشف المعاني: ٢٦٥، فتح الرحمن: ٢٧٩.
٦٤- وروح المعاني: ٨/ ٣٢٥.

الإسراء قدّم رزق الأولاد على رزق المخاطبين في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴾:٣١.

فالخطاب في آية الأنعام مع قوم فقراء يهمهم رزقهم أولاً، ثم رزق أولادهم، فقدِّم رزقهم لأنه عندهم أهم، أما آية الإسراء فالخطاب فيها مع قوم غير فقراء لكنهم يخشون الفقر مستقبلاً فيظهر أثره على أولادهم، فرزق أولادهم أهم عندهم لأنه مظنة القلة المتوقعة، أما رزقهم فهم حاصلون عليه، فقدّم رزق الأولاد على رزقهم لأنه أهم، ولهذا جاء التعبير في الآية الأولى بقوله: ﴿ مِّنْ إِمْلَٰقٍ ﴾ أي من فقر واقع ، أما الثانية فجاء فيها قوله: ﴿ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ﴾ أي فقر متوقع [٦٥].

كما ذكر هذا المعنى من المفسرين ابن كثير، وأبو السعود، وأبو حيان، وابن عاشور[٦٦]، والألوسي الذي قال: «وعقب سبحانه التكليف المتعلق بالوالدين بالتكليف المتعلق بالأولاد لكمال المناسبة فقال سبحانه: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ ﴾ بالوأد ﴿ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ﴾ الإسراء: ٣١ من أجل فقر أو من خشيته كما في قوله سبحانه: ﴿ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ﴾ وقيل: الخطاب في كل آية لصنف وليس خطابًا واحدًا فالمخاطب بقوله سبحانه: ﴿ مِّنْ إِمْلَٰقٍ ﴾ من ابتلي بالفقر وبقوله تعالى: ﴿ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ﴾ من لا فقر له ولكن يخشى وقوعه في المستقبل، ولهذا قدم رزقهم هاهنا في قوله عز وجل: ﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ وقدم رزق أولادهم في مقام الخشية فقيل: ﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ الإسراء: ٣١ وهو كلام حسن. وأيًا ما كان فجملة ﴿ نَّحْنُ ﴾ إلخ استئناف مسوق لتعليل النهي وإبطال سببية ما اتخذوه سببًا لمباشرة المنهي عنه وضمان منه تعالى لإرزاقهم أي نحن نرزق الفريقين لا أنتم فلا تقدموا على ما

٦٥- انظر: درة التنزيل: ٧٤، والبرهان: ١٧٨، وملاك التأويل: ١ / ٤٧٩-٤٨٠، وكشف المعاني: ١٦٩، وفتح الرحمن: ١٣١

٦٦- انظر: تفسير القرآن العظيم: ٢ / ١٨٠، وتفسير أبي السعود: ٣/ ١٦٩، والبحر المحيط: ٤ / ٢٥١، والتحرير والتنوير: ١٥ / ٨٧-٨٨.

نهيتم عنه لذلك»[٦٧].

كما ذكر هذا التوجيه الخطيب القزويني في الإيضاح في موضوع تقديم بعض معمولات الفعل على بعض، يقول: (قدّم المخاطبين في الأولى دون الثانية، لأن الخطاب في الأولى للفقراء، بدليل قوله تعالى: ﴿مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾، فكان رزقهم أهم عندهم من رزق أولادهم، فقدّم الوعد برزقهم على الوعد برزق أولادهم، والخطاب في الثانية للأغنياء بدليل قوله: ﴿خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾، فإن الخشية إنما تكون مما لم يقع، فكان رزق أولادهم هو المطلوب دون رزقهم، لأنه حاصل، فكان أهم فقدّم الوعد برزق أولادهم على الوعد برزقهم)[٦٨].

ومن مواضع الأيات المتشابهة في التقديم والتأخير التي أشار إليها الألوسي: ما جاء في سورة المؤمنين كذلك، حيث قُدّم ﴿نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا﴾ على اسم الإشارة في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾:٨٣، وفي سورة النمل جاء التقديم لاسم الإشارة فقال: ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾:٦٨.

وافق الألوسيُّ الزمخشري في أن التقديم يعود إلى أهمية المقدم بالنسبة للغرض المسوق له الكلام، يقول: «وتقديم الموعود على ﴿نَحْنُ﴾ هنا للدلالة على أنه هو الذي تعمد بالكلام وقصد به حتى كأن ما سواه مطرح وعلاوة له كما ينبئ عن ذلك ذكر ما صدر منهم أنفسهم مؤكدا مقررًا مكررا؛ وتأخيره عنه في آية سورة المؤمنين لرعاية الأصل، ولا مقتضى للعدول إذ لم يذكر هناك سوى اتباعهم أسلافهم في الكفر وإنكار البعث من غير نعي ذلك عليهم، والجملة استئناف مسوق لتقرير الإنكار وتصديرها بالقسم لمزيد التأكيد، وقوله تعالى:

٦٧- وروح المعاني: ٤ / ٢٩٧.
٦٨- الإيضاح في علوم البلاغة: ٢ / ١٦٧.

﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ تقرير إثر تقرير»[٦٩]

أما الخطيب الإسكافي فبين المناسبة من جهة المبنى فالآية الأولى أسندت فيها الأفعال إلى فاعليها بدون فصل، وهذا هو القياس، فإن الضمير المرفوع المتصل لا يجوز العطف عليه حتى تؤكده بالضمير المنفصل، فأكد ﴿وُعِدْنَا﴾ بـ﴿نَحْنُ﴾ ثم عطف عليه ﴿ءَابَآؤُنَا﴾ ثم ذكر المفعول وهو ﴿هَٰذَآ﴾، أما آية النمل فقدّم اسم الإشارة موافقة للآية المتقدمة وهي: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾ :٦٧، فهنا تقدم ﴿تُرَٰبًا﴾ والقياس: كنا نحن وآباؤنا تراباً، فقدم ﴿تُرَٰبًا﴾ ليسد مسد ﴿نَحْنُ﴾[٧٠].

وقد وافق الفخر الرازي، وأبو حيان، وابن عاشور الزمخشريَّ،[٧١]. كما أشار لتوجيه الزمخشري أيضاً السكاكي في مفتاح العلوم، وجعله ضمن موضوع تقديم بعض المعمولات على بعض، وأن الغرض من التقديم العناية، والاهتمام بشأن المقدم[٧٢]، كما أشار إليه بدر الدين في المصباح[٧٣]، والقزويني في الإيضاح[٧٤].

وحين نتأمل توجيه الزمخشري ومن وافقه، ثم نعود لسياق الآيات التي تقدمت الآيتين نلحظ الحالة النفسية التي كان عليها منكرو البعث، فآية النمل جاء قبلها ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾ فالإنكار قوي، فلما قالوا ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا﴾ أبعد احتمال وقوع البعث عندهم، كما لم يكن في قولهم ذكر للموت، فلهذا تقدم اسم الإشارة الدال على ذلك، لكونه محل إنكارهم، وحتى يكون حاضراً

٦٩- روح المعاني: ١٠ / ٢٢٦، .
٧٠- انظر: درة التنزيل: ١٧٧.
٧١- انظر: الكشاف: ٣ / ١٥٨، والتفسير الكبير: ٢٤ / ١٨٣، والبحر المحيط: ٧ / ٩٤، والتحرير والتنوير: ٢٠ / ٢٥.
٧٢- انظر: مفتاح العلوم: ٢٣٨-٢٣٩.
٧٣- انظر: المصباح في المعاني والبيان والبديع: ٥٢.
٧٤- انظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ٢ / ١٦٩-١٧٠.

في أذهانهم، أما آية المؤمنين فجاء قبلها: ﴿ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا ﴾ فهم أقروا بالموت، وأنهم سيصبحون تراباً وعظاماً، فالإنكار هنا أضعف، وذلك لذكر العظام وذكر الموت، فتقدم ﴿ نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا ﴾ وتأخر اسم الإشارة، لأنه موضع الاستغراب والإنكار(٧٥). وكل الأقوال التي ذكرها هؤلاء العلماء الأجلاء مقبولة وحسنة، ولا يمنع أن تحمل الآيتين على هذه الاعتبارات.

ثالثاً: من مواضع الفصل والوصل

من أشهر مواضع الفصل والفصل في الآية المتشابهة والتي أشار إليها علماء المتشابه وعلماء التفسير قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ ﴾ :٤٩، حيث فصلت جملة (وَيُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ) عما قبلها، وفي سورة إبراهيم جاءت الآية بالوصل، يقول تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ أَنجَىٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ ﴾:٦.

فقوله: ﴿يُذَبِّحُونَ ﴾ في آية البقرة بدل من ﴿يَسُومُونَكُمۡ ﴾ فالآية إخبار من الله تعالى بإنجاء بني إسرائيل، فلم يُرد تعداد المحن التي أصابت بني إسرائيل، فوقع الفصل، أما آية إبراهيم فقد تقدمها قوله: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾ الآية:٥، وقوله: ﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ ﴾:٦، فلما تقدم ذلك ناسب العطف بالواو، فعطف يذبحون على سوم العذاب للدلالة على أنه نوع آخر فكأنه قال: يعذبونكم ويذبحون، وهذا فيه تعداد للمحن، وتذكيرهم بأنواع نعم الله التي أنعمها عليهم، فالآيات من كلام موسى عليه السلام، حيث أمر بتعديد ذلك فكان الوصل للآية أنسب(٧٦).

٧٥- انظر: خصائص التعبير القرآني: ٢ / ١٨٥.

٧٦- انظر: درة التنزيل: ٧، والكشاف: ٢ / ٣٦٨، والتفسير الكبير: ١٩ / ٦٧، والبحر المحيط: ٥ / ٤٠٦، والبرهان في علوم القرآن: ١ / ١١٦، والإتقان: ٢ / ١١٥ومعترك الأقران: ١ / ٨٧-٨٨، والتحرير والتنوير: ١٣ / ١٩١-١٩٢.

يقول الإمام الألوسي: «وفي (أنوار التنزيل) أن المراد بالعذاب هاهنا غير المراد به في سورة البقرة والأعراف لأنه مفسر بالتذبيح والتقتيل ثم ومعطوف عليه التذبيح المفاد بقوله تعالى: ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ هاهنا، وفيه إشارة إلى وجه العطف وتركه مع أن القصة واحدة، وحاصل ذلك أنه حيث طرح الواو قصد تفسير العذاب وبيانه فلم يعطف لما بينهما من كمال الاتصال وحيث عطف لم يقصد ذلك، والعذاب إن كان المراد به الجنس فالتذبيح لكونه أشد أنواعه عطف عليه عطف جبريل على الملائكة عليهم السلام تنبيهًا على أنه لشدته كأنه ليس من ذلك الجنس، وإن كان المراد به غيره كالاستعباد فهما متغايران والمحل محل العطف، وقد جوز أهل المعاني أن يكونا عنى في الجميع وذكر الثاني للتفسير، وترك العطف في السورتين ظاهر والعطف هنا لعد التفسير لكونه، أوفى بالمراد وأظهر منزلة المغاير وهو وجه حسن أيضًا»[٧٧].

فعلى هذا فإن سبب الوصل هو جعل الجملة الثانية مستقلة بنفسها، فلما عطفت عليها جعلت كأنها مغايرة لها، من أجل تكثير المصائب التي يمتن الله بتفريجها عن بني إسرائيل، ومن أجل التنويه بشأن هذه النعمة بالذات، حيث صارت من قبيل عطف الخاص على العام.

هذه بعض المواضع التي تيسر الحديث عنها في هذا البحث الموجز عن هذا العالم المهم رحمه الله تعالى، وهي نماذج لوقفاته عند الآيات المتشابهة في موضوع اللفظ المفرد، وفي التراكيب، ومنا يقال: ما لا يدرك كله لا يترك كله، ويمكن الرجوع للمواضع الأخرى في روح المعاني[٧٨].

٧٧- روح المعاني: ٧/ ١٨٠

٧٨- انظر: روح المعاني: ٧/ ٢٢٧، ٧/ ٤١٣-٤١٥، ١٥/ ١٤٩، ٢٤٤، ٦/ ٣٢١، ٥، ٨٤، ٨/ ٣٢٥، ٧/ ٣٢١، ١٠/ ١١٧، ٤/ ١١٨، ٦/ ٧٩، ١/ ٢٦٩/ ٦/ ١٣٠، ١٤٥، ٦/ ٢٣٢، ٤/ ٣٩٣، ٧/ ٣٧١، ٦/ ١٣٧.

وقفات مع توجيه الإمام الألوسي:

- انتهج الإمام الألوسي في توجيه الآيات المتشابهة منهج علماء المتشابه، حيث يوضح سر الاختلاف بين الآيتين أو الآيات المتشابهة في الموضع الأول من ترتيب السور.

- كما اتسم توجيهه بالاختصار والإيجاز، وهو منهج الإمام الكرماني في متشابه القرآن.

- إذا كان علم المتشابه اللفظي علماً من علوم القرآن فإن تفسير روح المعاني حوى علوماً كثيرة، جمع فيه الألوسي علماً جماً متنوعاً، ولهذا يعد توجهه للآيات المتشابهة إشارات ولمحات سريعة اقتضاها المقام.

- يظهر في توجيهات الإمام الألوسي أنه استوعب رأي المتقدمين، ولهذا نراه في بعضها يذكر نص توجيه الزمخشري، والبيضاوي، وفي مواضع أخرى يرى وجهاً آخر للآية.

- مع أن الفارق الزمني بين الألوسي وبين العلماء الذين تحدثوا عن الآيات المتشابهة يصل لثمانية قرون، إلا أن قدرته اللغوية والأسلوبية في نقل توجيهاتهم بلغة سهلة ممتنعة، كان لها أثر في بيان الأسرار البلاغية. ويظهر لنا ذلك بجلاء حين نعقد مقارنة بين أقوال علماء المتشابهة اللفظي كالخطيب والكرماني وابن الزبير وبين توجيه الألوسي، أو بين توجيه الألوسي وبين توجيه الزمخشري والفخر الرازي والبيضاوي، وغيرهم.

- وآخر الوقفات أنه رحمه الله يسند الرأي لصاحبه متى ما علم ذلك، وهذا ظاهر في كثير من توجيهاته للآيات، وهو منهج عرف به في روح المعاني بشكل عام.

الخاتمة

لقد يسر الله تعالى بمنه وكرمه أن عشت وقتاً طيباً مباركاً مع كتاب من كتب الأعلام الذين اعتنوا بكتاب الله تعالى، فتأملت ما دونه رحمه الله تعالى في الآيات المتشابهة، التي تمثل جانباً مهما في البلاغة القرآنية، وهذه التأملات والوقفات من هذا العالم المبارك جزء لا يتجزء من مصنفات علماء المتشابه اللفظي، وإن كانت الطريقة تختلف في دراسة تلك المسائل.

وهذا البحث محاولة لإبراز جهود أحد المفسرين في جانب إظهار بلاغة القرآن الكريم في ضوء الآيات المتشابهة التي لها مكانتها وقيمتها وأهميتها في تفسير كتاب الله تعالى، وبعد هذه الرحلة لا زلت أتمثل قول الشاعر.

أرى روحي إلى روح المعاني..... لها شوق يزيد مع الزمان

وقد جاء هذا البحث المختصر بعنوان «منهج الإمام الألوسي في توجيه الآيات المتشابهة» وفيه وقفات وتأملات، لعلها تفتح الباب لمزيد من المعرفة تجاه جهود علماء التفسير في باب المتشابه اللفظي، فما خرجت به من فوائد ما هي إلا ثمرات معدودة من ثمار جمّة، ولعلي أذكر طرفاً منها فمن ذلك:

- أن الآيات المتشابهة تشابهاً لفظياً في كتاب الله تعالى مجال رحب للدراسات والبحوث البلاغية وهي ثمرة من ثمار تدبر القرآن الكريم، وتعد من أعظم الدلائل على إعجاز القرآن الكريم.
- كما أن المنهج التطبيقي في البحث البلاغي الذي يعتمد التحليل والبحث عن الأسرار البلاغية الدقيقة يعدّ أفضل المناهج، وأكثرها فائدة، وأقربها إلى النفس، وهو المنهج الذي سار عليه سلف هذه الأمة، وعرف عند أئمة البلاغة وروادها.

- أوضح البحث مناهج العلماء المتقدمين والمتأخرين في توجيه الآيات المتشابهة تشابهاً لفظياً.

- أبان البحث أن علماء التفسير لهم أثر عظيم في ثراء المادة العلمية للبحوث القرآنية المتنوعة، وأخص بذلك الدراسات القائمة على دلالات التراكيب وأسرار المعاني..

- تميز «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني» بحسن العرض، وسلاسة العبارة، واستعراض الآراء وبسطها، وبيان أقوال العلماء ومناقشتها، وقد امتاز توجيهه للآيات المتشابهة بذلك.

- بلغ عدد مواضع المتشابه اللفظي التي تحدث عنها الإمام الألوسي ثلاثون موضعاً، وهي قليلة جداً، ولكن إذا علمنا منهجه، وهدفه الذي حدده في مقدمة التفسير التمسنا له العذر.

هذا وأسأل الله تعالى التوفيق والسداد وأن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

المراجع

- الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، المكتبة الثقافية، بيروت١٩٧٣م.
- الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، السعودية، وزارة المعارف ط٣.
- الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، شرح وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي، الطبعة الثانية، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة
- البحر المحيط لأبي حيان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:٢، ١٤١١هـ.
- البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة.
- البرهان في متشابه القرآن لمحمود بن حمزة الكرماني، تحقيق: أحمد عز الدين خلف الله، دار الوفاء، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزبادي، ت: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت.
- ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن للدكتور: عبد الفتاح لاشين، دار الرائد العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ.
- البلاغة القرآنية في ملاك التأويل لابن الزبير الغرناطي، للباحث: إبراهيم الزيد، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام، الرياض، ١٤١٣هـ.
- التحبير في علم التفسير للسيوطي، ت: زهير نور، وزارة الأوقاف الإسلامية، الدوحة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ

- التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية، تونس، ١٩٨٤م.
- تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) لأبي السعود العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، للبيضاوي، مطبعة الحلبي.
- تفسير القرآن العظيم لابن كثير، دار الحديث، القاهرة، ط:٢، ١٤١٠هـ.
- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) للفخر الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
- التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط٢، ١٣٩٦ هـ
- التقريب لتفسير التحرير والتنوير، لمحمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة، بالرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ
- التوقيف في مهمات التعاريف لمحمد عبد الرؤف المناوي، تحقيق: محمد الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط:١، ١٤١٠هـ.
- حقائق التأويل في متشابه التنزيل للشريف الرضي، شرح: محمد الرضا، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية للدكتور عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.
- درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز للخطيب الإسكافي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

- دليل المتشابهات اللفظية في القرآن الكريم للدكتور: محمد الصغير، دار طيبة، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤١٨هـ.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي، عناية: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن للأنصاري، تحقيق: محمد علي الصابوني، دار عالم الكتب، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٠٥هـ
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لجار الله الزمخشري، مكتبة مصطفى الحلبي، مصر، الطبعة الأخيرة، ١٣٩٢هـ.
- كشف المعاني في المتشابه من المثاني لبدر الدين بن جماعة، تحقيق: الدكتور عبد الجواد خلف، دار الوفاء، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
- لسان العرب، ابن منظور المصري، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٠ هـ.
- متشابه القرآن لأبي الحسن علي الكسائي، ت:صبيح التميمي، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ.
- متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار الهمذاني، ت:عدنان زرزور، منشورات دار التراث، القاهرة.
- متشابه القرآن دراسة موضوعية د. عدنان زرزور، دار الفتح، دمشق، ط:١، ١٣٨٩هـ.
- متشابه القرآن العظيم لأبي الحسين بن المنادى، ت: عبد الله الغنيمان، طبعة كلية القرآن والدراسات الإسلامية، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط: ١، ١٤٠٨هـ.

- المصباح، بدر الدين بن مالك، تحقيق: حسنى يوسف، مكتبة الآداب ط١، ١٤٠٩ هـ، القاهرة.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي، تحقيق: علي البجاوي، دار الفكر العربي، مصر، ١٣٩٢هـ
- مفتاح العلوم للسكاكي، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.
- ملاك التأويل لابن الزبير الغرناطي، تحقيق: سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.
- هداية المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب للسخاوي، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

Abstract

Al-Alusi's Approach in Interpreting Ruh al-Ma›ani (Exegesis of the Qur›an) in Directing Similar Qur'anic Verses

Dr. Saleh Bin Abdullah Al-Shetri

Praise be to Allah and peace and prayers be upon the Messenger of Allah.

Since the Fifth Hijri Century, the verbal resemblance science has not gained its due, because efforts made in this concern were humble. Some scholars, for instance were depending on some old writings due to the difficulty of the subject. It is a precise topic that exerts a great deal of scholars' time and efforts and requires good understanding and knowledge in linguistics. We have previously mentioned that this science has not gained its due of study and research as given to some other Qur'anic sciences such as the Science of Interpretation of the Qur'an.

Looking attentively at the Islamic heritage of this subject, we will find that some scholars have paid a great attention for it to understand and reflect the Book of Allah. Among the most distinguished scholars were the scholars of verbal resemblance who composed specialized books and had various approaches in directing similar Qur'anic verses. Being the origin of this science, the efforts of the interpreters of Qur'an are highly appreciated through their many and various exegeses which are full of marvelous inspirations and views in directing these identical verses.

In this paper, our main focus would be made towards one of the most distinguished Qur'anic interpretation scholars, i.e., Al-Alusi the writer of (Ruh Al-Ma›ani fi Tafseer Al-Quran Al-›Azim wa Al-Sab Al-Mathani). A due attention would be placed to his approach in directing the similar verses in the Book of Allah as it is a part of his approach in interpreting the Book of Allah.

The paper constitutes the following sections

- The 1st section: Definitions

- The 2nd section: The approaches of the some scholars who were interested in the verbal resemblance

The approach of Imam Al Alusi in directing the similar Qur'anic verses.

UNITED ARAB EMIRATES - DUBAI
COLLEGE OF ISLAMIC & ARABIC STUDIES

ACADEMIC REFEREED JOURNAL OF

COLLEGE OF ISLAMIC & ARABIC STUDIES

GENERAL SUPERVISION
Dr. Mohammed Ahmed Abdul Rahman
Vice Chancellor of the College

EDITOR'S IN-CHIEF
Prof. Ahmed Othman Rahmani

EDITOR'S SECRETARY
Dr. Mohammed Ahmed Al-Khooli

EDITORIAL BOARD

Prof. Abdullah Mohammed Aljuburi **Prof. Abdul Rahman Binani**
Dr. Ghazi Yousef Al-Yousef **Dr. Mujahed Mansour**
Dr. Mazin Hussein Hariri

ISSUE NO. 49
Ramadan 1436H - June 2015CE

ISSN 1607- 209X

This Journal is listed in the ***"Ulrich's International Periodicals Directory"***
under record No. 157016

e-mail: iascm@emirates.net.ae

UNITED ARAB EMIRATES-DUBAI

COLLEGE OF ISLAMIC & ARABIC STUDIES

College of Islamic & Arabic Studies Magazine

An Academic Refereed Journal

49

Issue No. 49

E Mail iascm@emirates.net.ae

Website www.islamic-college.ae

Read In This Issue

The Speech of the Vice-chancellor: Scientific in the Service of the Society

Al-Alusi's Approach in Interpreting Ruh al-Maani (Exegesis of the Quran) in Directing Similar Qur'anic Verses

The Efforts of Imam Al Shafi'ee in Criticizing the Narrators and Correcting them

How to Invest the Exams Result in Developing Abilities and Directing the Educational Process Piling University Exams Result (An Example)

The Generalization of Almoqtodha and its Impact in the Scholars' Disagreement

The Judgment of Penance in Premeditated Murder - A Study on Comparative Jurisprudence

Forms of Investment in Fund Endowment - A Study on Investing Financial Standards for Endowment Property

"Sensuous Discourse in Children: Poetry Poet Ahmad Sweilem as a Model"

Al-Tadweer" in the Poetry of Hameed Saeed - Poem: Ya Jaarat Al-Dam Wa Al-Damar Musical Study

The Tawarruq in Banking - An Islamic Empirical Critical Study

Relocating the Case Mark in the Forming of the Arabic Word (Morphological and Phonetical Study)

The Role of the Al Moravids (Al-Murabteen) in Establishing the (Maliki School) in Morocco and Al-Andalus

U. S. Trade Policy between Theory and Practice - The Case of U. S. Subsidies and the West African Cotton Crisis (2001-2004)

م 2015/ هـ1436